

الفصل الخامس

وظيفة الهامش في البحث العلمي

5-1- تعريف الهامش : لم يكن أسلافنا يعرفون نظام الهوامش، لكن كانوا يعرفون نظام الحواشي، إذ كان يوجد بياض أو فراغ على جوانب الصفحة، يمكن من كتابة بعض التعليقات. ولم يكن يكتبها المؤلفون أنفسهم، إنما يكتبها بعض العلماء، الذين يقرؤون الكتاب، وكثيراً ما نراهم يذكرون قبلها كلمة تدل عليها مثل (هاهنا لطيفة) أو (فائدة) أو (تنبية)، كما نجد بعض الشروحات للنص الرئيسي، فتصبح هذه الشروحات مرجعاً إضافياً للكتاب الأصل، وكثيراً ما نجد كتب تفسير القرآن الكريم، تستخدم الحواشي الموجودة حول الآيات، والغالب أن تكون مساحة الحواشي أكبر من مساحة الآيات القرآنية .

5-2- وظيفة الهامش : لقد ساعدت المطبعة المؤلفين على استخدام الهوامش والحواشي جميعاً . أما الهوامش فلا تزال يراد بها التعليق و بسط فكرة في المتن، و قد يذكر معها اسم مصدر أو أكثر و قد يُنقل من مصدر اقتباس طويل . و بعض المؤلفين يعمدون كثيراً إلى صنع هذه الهوامش، و كأنهم يرون أنهم إن ذكروها في المتن أحدثت فيه خلخلة، وخاصةً حين نتحدث عن بعض الأشخاص أو عن بعض الموضوعات التي عرض لها المؤلف في بحثه أو الإشارة إلى مصادر أخرى غنية بالمعلومات ينصح القارئ بالرجوع إليها، و لعل هذا ما يجعلنا ننبه إلى الحذر في استخدامها، فينبغي ألا يعتمد إليها الباحث دائماً، إنما يعتمد إليها عند الضرورة الصحيحة، و حين لا يستطيع أن يُنخل ما تحتويه في تضاعيف كلامه، و على كل حال ينبغي ألا تأخذ صورة معلومات أساسية تضاف من حين إلى حين، و كأن الباحث فاته أن يسوقها في ثنايا كلامه، إن الغرض منها إنما هو التوضيح لا إضافة معلومات جديدة فانت الباحث و يريد أن يسجلها، أو كأنما عزَّزَ عليه، أو صعب أن يدمجها في متن الكلام، و معنى ذلك أن تكون ذات صلة وثيقة بأفكار المتن،

و إلا بدت كأنها استطرادات لا يحتاجها البحث . و بدلاً من أن تؤكد تضرعه و تُخلّله خلطة شديدة .

و من الحقائق التي ينبغي للباحث إدراكها أنه من الأفضل الاقتصاد قدر الإمكان من الهوامش لأي غرض حتى يضمن متابعة القارئ، فلا يقطع عليه تسلسل المعاني والأفكار، و يمكن تحقيق هذا بطريقة من الطرائق الآتية :

5-2-1- الإشارة في سطر واحد إلى عدة اقتباسات من مصدر لمؤلف واحد، و ذلك بأن يوضع الرقم في نهاية الاقتباس الأخير، ثم يشار إلى الصفحات التي جرى الاقتباس منها على الترتيب.

5-2-2- بدلاً من وضع أرقام متعددة على الصفحة عند نسبة بعض الآراء، أو نكر الأسماء ثم الإشارة إلى مصطلحها بالهامش يوضع رقم واحد بعد الاسم الأخير، ثم تدوين في الهامش منسوبة إلى مصادرها بالترتيب .

5-2-3- بالنسبة للجداول، و البيانات، و القوائم، و الصور، و الخرائط، مما ليست له أهمية مباشرة، فالأحسن تدوينها في ملحوظ خاص في نهاية البحث، و يشار إلى مكانها بالهامش⁽¹⁾. فالغاية من الهامش تجريد المتن من تلك الاستطرادات التي لا تعد جزءاً رئيسياً من البحث، و لكنها في الوقت ذاته ضرورية لإعطاء القارئ، أو الطالب صورة كاملة لجميع جوانب البحث⁽²⁾ .

لقد أصبحت الهوامش جزءاً لا يتجزأ من البحوث و الدراسات الحديثة، و تعبر عن مدى مصداقية الباحث و أمانته العلمية، و هذه الهوامش يرد بها بيان المصادر التي استخدمها الباحث في بحثه و كأنها مستدلته في الدراسة، فهو يقدمها للقارئ، و كأنما يقدم أدلته وبراهينه على ما يسوق من أفكار، و اضعاً تحت بصره جميع مصادره، ليراجع فيها إن شاء، و ليبين له كيف كوّن بحثه، و كأنما يريد أن يشركه معه في الدراسة، إذ يعرض عليه كل ما قرأه و كل ما اتخذ دليلاً أو حجة على كلامه، و كل ما استمد منه أفكاره و آراءه، و عادة حين يذكر المصدر يذكر صفحته بكل دقة، إلا أن هناك بعض الباحثين الناشئين، يقعون في مشكلة منهجية خطيرة، و هي أن يجد في بحث سبق له إشارة إلى مصدر، فيأخذ هذا المصدر عنه، و رقم صفحته من غير إطلاع عليه أو مراجعة له، و قد يكون الباحث السابق أخطأ في نكر المصدر من غير قصد، أو أخطأ في نكر الصفحة و رقمها، أو قد يكون حدث في أثناء

للطبع تحريف في الرقم، فينقله بتحريفه أو بخطئه (3) و أحيانا يحدث هذا الخطأ الفادح في نقل بعض الآيات القرآنية التي أصابها شيء من التصحيف، و لم تصحح، و في حال كهذه نكون أمام مشكلة خطيرة في البحث العلمي، و مدى صدق وأمانة صاحبه !

و بعض الباحثين المبتدئين يستكثرون من الهوامش، و لذلك ضرران واضحان :

أولهما : إن ذلك يعني إن الباحث يحاول أن يدل على سعة اطلاعه، فهو يحشد عشرات المصادر، و كثيراً ما يؤدي به ذلك إلى أن يجمع فيها بين الغث و السمين، فتختلط المصادر، و لا يُعرف أيها أهم للبحث و أيها لا يتصل به . و أما الضرر الثاني فإنه لا يستطيع أن يتبين هو نفسه المصدر الأساسي من المصدر غير الأساسي، و هذا يجبر الباحث للنشئ إلى لوخم العواهب (4) .

و ليس الغرض من البحوث دائماً أن يدل الباحث على كثرة ما قرأ من المصادر المتصلة مباشرة بالبحث و غير المتصلة . و إنما الغرض أن يستنبط من مجموع ما يقرأ قضايا أو أفكاراً جديدة، و حينئذ لو اتسع به ذلك فاستنبط نظرية لم يُسبق إليها، و ذلك هو الغرض الحقيقي من البحث (5) .

إنه لا بد للباحث حقاً من المصادر و من الاتساع في القراءة، لكن لا يستكثر من الهوامش، و إنما لينتخب منها مادة بحثه، و يشير إليها حين تكون الإشارة ضرورية للبرهنة على ما يقول، و دائماً ما يقوله ينبغي أن يكون نتيجة إحاطة بالمصادر و استقصاءً شديداً، و أهم من ذلك أن يكون نتيجة تمثل لها (6) .

3-5- كتابة الهامش : تكتب الهوامش عادة في ذيل الصفحة، و منهم من يجعلها في نهاية الفصل، أو في نهاية البحث، و في حال إثباتها في ذيل الصفحة، يجب للفصل بينها و بين المتن بخط طوله بحدود 8 سم، و تكتب بحرف صغير، و يمكننا كتابة المصادر و المراجع في الحواشي، كما مر بنا في فصول للكتاب و لكتابة الهوامش ثلاث طرائق يستطيع الباحث اختيار ما يناسبه، و يسير عليه في بحثه من أوله إلى آخره . و هذه الطرائق هي الآتية :

3-5-1- تدون الهوامش بأسفل الصفحة : و يكون هذا بطريقة من الطرائق الثلاث الآتية:

5-3-1-1- و ضع أرقام مستقلة لكل صفحة على حدة : و تبدأ من رقم (1) مدوناً في أعلى نهاية النص، أو الفكرة يقابله الرقم للمائل بالهامش . و توضع في أسفل كل صفحة هوامشها، و كل صفحة مستقلة بأرقامها، و مراجعها، و كل ما يتصل بها .

5-3-1-2- إعطاء رقم متسلسل متصل لكل فصل على حدة : و يبدأ من رقم (1) و يستمر إلى نهاية الفصل، مع السير على نفس الطريقة في اختصاص كل صفحة بهوامشها و تعليقاتها .

5-3-1-3- إعطاء رقم متسلسل متصل للرسالة كلها : مبدوءاً برقم (1) و يستمر إلى آخر الرسالة، و يدون في أسفل كل صفحة هوامشها .

5-3-2- التهميش في نهاية كل فصل : إعطاء رقم متسلسل لكل فصل على حدة، مبدوءاً برقم (1) و يستمر حتى نهاية الفصل، و تجمع كل الهوامش و التعليقات لتدوينها في نهاية الفصل، و يفضل استخدام هذه الطريقة في كتابة الأبحاث المخصصة للمجلات الدورية .

5-3-3- جمع الهوامش كلها في نهاية الرسالة، و إعطاؤها رقماً متسلسلاً من بداية الموضوع حتى نهايته (7) .

و لكل طريقة حسناتها و عيوبها، فللباحث حرية اختيار إحداها، و هناك طريقة أخرى للإشارة إلى التعليقات غير الإشارة بالرقم، و ذلك بوضع علامة مثل : * و تكون فوق عنوان رئيسي في البحث، و يمكن أن تكون علامتان أو أكثر بحسب الحاجة، و تثبت في الهامش أيضاً .

4-3-4- التوثيق بالأرقام فقط : تعتمد هذه الطريقة في توثيق المصادر و المراجع على الأرقام الموضوعية بين قوسين و ضمن المتن فقط، بحيث يكون الرقم الأول دالاً على المصدر الموجود في قائمة المصادر في نهاية البحث . أما الرقم الثاني فإنه يشير إلى رقم الصفحة التي تم الاقتباس منها من نفس المصدر للمشار إليه بالرقم الأول، و تستخدم هذه الطريقة في الأبحاث العلمية، و مثاله (5،128) . و أحياناً يشار إلى سنة المصدر، مثلاً (128،5،1990):128 تعني رقم المصدر أو المرجع للورد في فهرس المصادر و المراجع في نهاية البحث، و 5 تعني رقم الصفحة من المرجع المذكور، و 1990 تعني تاريخ طباعة المرجع .

من خلال فصول الكتاب حاولنا استخدام جميع أشكال توثيق المصادر و المراجع،
كتطبيق عملي يرجع إليه الباحث ليختار ما يراه مناسباً لبحثه .

5-3-5- التوثيق في العلوم الاجتماعية والفيزيائية : يتم للتوثيق للمعلومات في مجال العلوم
الاجتماعية والفيزيائية بتكوين لقب المؤلف، ثم تاريخ النشر، ثم يعقبهما فاصلة، ثم رقم الصفحة
كل هذا موضوعاً بين قوسين كبيرين، مثل : (Silson 1982,73) .

في ضوء هذه الطريقة تنظم قائمة المصادر كالمعتاد بإضافة بسيطة، وذلك هو تكوين

تاريخ النشر مباشرة بعد لقب المؤلف، يلي هذا عنوان البحث فمعلومات النشر كالمعتاد سابقاً .

ملحوظة : إذا تضمنت قائمة المصادر أكثر من مصدر لمؤلف واحد فإنها ترتب حسب تاريخ
النشر الأقدم فالأخير تاريخياً، فالذي يليه . و إذا صادف اتفاق تاريخ نشر بعض الأبحاث في فترة
واحدة فإنه يدون للتاريخ، ثم يضاف في نهايته ما يميزه من الحروف الهجائية في المستوى للعدد
الأخير مثل : (1406م) (1406ب)⁽⁸⁾ .